الباب الخامس والعشرون

في الجود والكرم

أثر الجود والكرم في النفوس:

لقد أولع العرب بالسخاء والجود والكرم، وكانوا يتفاخرون بنحر الجمال، للقرى والضيف، وصارت تلك الصفات من الأشياء المألوفة التي يتوارثها الأبناء عن الآباء، وكانوا يعدّون كثرة النحر دليلاً على السخاء والكرم، فكان الرجلان في الجاهلية يتباريان في الجود والسخاء، فيعقر هذا من إبله، وهذا من إبله حتى يعجز صاحبه، وقد ظهر هذا واضحاً في أشعارهم، فمن ذلك قول زهير بن أبي سلمى الشاعر الجاهلي الحكيم:

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم ... قوم لأولهم يوماً إذا قعدوا
قوم أبوهم سنان حين تنسبهم ... طابوا وطاب من الأولاد ما ولدوا
جن إذا فزعوا إنس إذا أمنوا ... ممردون بهاليل إذا اجتهدوا

هذه قصيدة أعشى قيس في رسول الله ﷺ:

أجدك لم تسمع وصاة محمد ... نبي الإله حين أوصى وأشهدا
إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى ... ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على أن لا يكون كمثله ... وأنك لم ترصد لما كان أرصدا
فإياك والميتات لا تأكلنها ... ولا تأخذن سهما حديدا لتفصدا
وذا النصب المنصوب لا تنسكنه ... ولا تعبد الأوثان والله فاعبدا
وصلِّ على حين العشيات والضحى ... ولا تحمد الشيطان والله فاحمدا
ولا السائل المحروم لا تتركنه ... لعاقبة ولا الأسير المقيدا
ولا تسخرن من بائس ذي ضراوة ... ولا تحسبن المرء يوما مخلدا
ولا تقربن جارة إن سرها ... عليك حرام فانكحن أو تأبدا

إن من يطالع قصيدة صناجة العرب هذه، أعشى بني قيس ميمون بن قيس بن جندل، يظهر له أن الشاعر كان يعلم ما يدعو إليه الإسلام، من مكارم الأخلاق، إذا ذكر بعض ما يحثّ عليه الإسلام من التزود بزاد التقوى، يندم يوم لا ينفع الندم، وذكر ما يدعو إليه الإسلام، من أن أكل لحم الميتة حرام،

وأكل الدم حرام، وما نُحِرَ على النصب حرام، وعبادة الأوثان حرام، وحثّ على الصلوات وحذّر من عبادة الشيطان، وردّ السائل المحروم حرام، واحتقار الضعيف حرام، والزنا حرام وشرب الخمر حرام، كلّ ذلك ذكره الشاعر في القصيدة التي ذكرنا منها بعض الأبيات، ورغم ذلك مات كافراً.